لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون رأيتهُ اكثر من مرةٍ وجاءني اكثر من واحدٍ ومقتضاهُ اثبات الكثرة للمرة وللواحد لان المفضَّل عليهِ في معنًى من المعاني لا بد ان يشارك المفضَّل في ذلك المعنى فقولك بكرٌ اشرف من خالد يتضمن اثبات الشرف لخالد مع زيادة بكرٍ عليهِ فيهِ والظاهر ان هذا التعبير منقول عن التركيب الافرنجي والعرب يستعملون هنا لفظ غير يقولون رأيتهُ غير مرّةٍ وجاءني غيرُ واحد لان غير الواحد لا بد ان يكون اثنين فما فوق

ويقولون هنّأ القادم بسلامة الوصول يعنون بوصولهِ سالماً وهي من العبارات الشائعة التي لا تكاد تخلو منها جريدة ولا يخفى ما فيها من فاسد التعبير لان مفادها اثبات السلامة للوصول لا للقادم والوصول لا يوصف بكونهِ سالماً او غير سالم

ويقولون تخرَّج من هذه المدرسة كذا كذا تلميذاً يريدون خرج ولا يأتي تخرَّج بهذا المعنى ولكن يقال خرَّجت التلميذ تخريجاً اذا ادّبتهُ ودرّبتهُ فتخرَّج هو اي تأدّب وقد تخرَّج على فلان وتخرَّج في مدرسة كذا وهو خرّيج فلان

ويقولون تعذَّر عن الامر اي امتنع عليهِ فعلهُ وعجز عنهُ والصواب تعذَّر عليهِ الامر

ويقولون استلف منهُ سُلفةً بالضم اي اقترض قرضاً وهي من الالفاظ الشائعة عند عامة مصر ولم يرد استلف في شيء من اللغة انما يقال استسلف

منهُ مالاً وتسلَّف والاسم السلَف بفتحتين وهو القرض بلا منفعة واما السُلفة فلم تأتِ بهذا المعنى

ويقولون هذا امرٌ ذو خطارة يعنون مصدر الخطير وانما يقال في هذا المعنى الخَطَر والخطورة ولم يُسمع الخطارة

ويقولون رغب الشيء وشيءٌ مرغوب يعدّونهُ بنفسهِ والصواب رغب فيهِ

ويقولون طلب الحظوى بهذه النعمة وسرّتني الحظوى بلقآء فلان والصواب الحُظوة بالهآء . ومن هذا قولهم سرّتني رؤياك بالالف ايضاً وانما الرؤيا في النوم خاصةً واما في اليقظة فيقال الرؤية بالهآء وهي اللغة الفصحى

ويقولون في جمع السيّد اسياد وهي من لفظ العامة لانهم يقولون في المفرد سِيد بالكسر مثال عِيد وانما السِيد الذئب والصواب جمعهُ على سادة مثل عيّل وعالة وكلاهما نادر

ومن هذا الباب قولهم في جمع الكُسوة كساوي ولا وجه لهذه الصيغة في جمع هذه الكلمة والصواب الكُسَى بالقصر كما تقدم في غير هذا الموضع . وقد ورد مثل هذا في مروج الذهب للمسعودي حيث يقول في الكلام عن كسرى ابرويز وامر لجنود موريقش بالاموال والمراكب والكساوي وهو من مثلهِ غريب

ومن ذلك جمعهم السطح على اسطحة واساطح وهذا الثاني جمع الجمع والصواب سطوح . وقولهم في جمع القرية قرايا كانهم جمعوا القريّة بتشديد اليآء وقد جآء هذا الجمع في تاريخ ابي الفدآء في الكلام على غزوة الدمستق

حلب حيث يقول ثم ارتحل عائداً الى بلادهِ ولم ينهب قرايا حلب . ومثلهُ قولهُ في الكلام على مقتل الامين وأخذوا رأسهُ ومضوا بهِ الى طاهر فنصبهُ على برجٍ من ابرجة بغداد يريد ابراج . ومن هذا قول نزهون الغرناطية الشاعرة

البدر يطلع من ازرّتهِ والغصن يمرح في غلائلهِ

وانما يجمع الزرّ على أزرار

ومن هذا يقولون جآءوا عرايا كانهُ جمع عُريان على حدّ نُدمان وندامى وكذا يقولون في جمع المؤنث لكن نصّ اصحاب اللغة على ان هذا الحرف لا يكسَّر اي لا يجمع جمعاً مكسراً وانما يقال في جمعهِ عُريانون ونسآء عُريانات

ويقولون اصبح القوم يشكون الجوع والعرآء كذا بالمدّ والصواب العُرْي بالضمّ وسكون الرآء

ويقولون غليت المآء فيستعملون غلى متعدياً وهو لازم يقال غلى المآء يغلي غلياً وغلَياناً واغليتهُ انا اغلآء يتعدى بالالف

ويقولون أجّلهُ في الامر الى بعد كذا وبقيت عندهُ الى قبل المغرب والى لا تدخل من الظروف الغير المتمكنة الا على متى واين وحيث وباقيها لا يجرّ الا بمن والصواب الى ما بعد كذا والى ما قبل المغرب

ويقولون والأعجب من ذلك ان الامر كذا وكذا وهذا اخي الأكبر مني ومن هذا قول السيوطي في المقامة الوردية والاشرف من كل ريحانٍ فخراً والمقرر في كتب النحاة ان الى ومن لا تجتمعان مع افعل التفضيل فالصواب ان تُحذَف احداهما فيقال والأعجب ان الامر كذا او وأعجب من

ذلك ان الامر كذا وهذا اخي الاكبر او اخي الذي هو اكبر مني وقس على ذلك

ويقولون رجلٌ ثورويّ على مثال فوضويّ اي من اصحاب الثورة وهم الثورويون ولا وجه لزيادة هذه الواو قبل ياء النسبة وكانهم يتجافون عن ان يقولوا ثوريّ لئلاّ يلتبس بالمنسوب الى الثور على ان الثور لو فطنوا مشتقٌّ من الثوَران لانهُ يثور او لانهُ يثير الارض فالشركة حاصلة على كل حال

ويقولون ارتكب في هذا الامر جُنحةً بالضم اي ذنباً يسيراً وقد جنّحهُ تجنيحاً اذا نسب اليهِ الجنحة وكلاهما لم يرد في اللغة انما جاء الجُناح بالضمّ بمعنى الذنب وكأن الجنحة محرَّفةٌ عنهُ

ويقولون هم خصماء فلان يريدون جمع خصم وانما الخصماء جمع خصيم وهو الشديد الخصومة والصواب خصوم

ويقولون أجّر المنزل تأجيراً اي اكتراهُ وهو عكس المعنى لان التأجير يكون من المالك تقول أجّرتهُ المنزل فاستأجرهُ

ويقولون صادق المجلس على كذا يعنون اقرَّهُ ووافق عليهِ وانما يقال صادقتهُ من الصداقة وقد يكون بمعنى صدَقتهُ (بالتخفيف) وصدَقني خلاف كاذبتهُ . ومنهم من يقول صدَّق عليهِ تصديقاً والتصديق في اللغة خلاف التكذيب فكلاهما غير الصواب

ويقولون صرَّح لهُ ان يفعل كذا بمعنى أذِن لهُ واطلق لهُ ان يفعل ولم يأت صرَّح في شيءٍ من هذا المعنى

ويقولون أشَّر على الصكّ تأشيراً اي رسم عليهِ علامةً تفيد التوقيع

اخذوهُ من الاشارة على توهم أصالة الهمزة في اولها وهو من كلام العامة ٠ على ان الاشارة لا تفيد ما يريدونهُ من ذلك والصواب ان يقال وقَّع على الصك او أعلم عليهِ اذا لم يُرَد صريح التوقيع (ستأتي البقية)

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

اذا نظرنا الى الانسان والحيوان بوجهٍ عامّ نرى بينهما بوناً شاسعاً وبعداً سحيقاً ونجد ان احطّ المتوحشين الذين ليس عندهم من الكلمات ما يعبرون بهِ عن الاعداد التي تزيد على اربعة وتكاد لغتهم تكون عطلاً من اسماء المعاني يمتازون كثيراً بقواهم العقلية والادبية على ارقى القِردة التي لها لغة تتفاهم بها وهيئة اجتماعية على جانب من الانتظام كما سيجيء

بيدَ أنَّا اذا تتبعنا سلسلة الكائنات العضوية حتى منتهاها نرى آثار الاتصال باديةً على كثير من حلقاتها لما أن لجميعها نفس الحواس التي للانسان وبالتالي فان بداءتها الاصلية تماثل بداءتهُ بالنظر الى ان مبدأ جميعها واحد ٠ والدلالة الواضحة على ذلك المشابهة في بعض السلائق الاصلية من مثل محبة حفظ الوجود والذود عنهُ بجهد المستطاع والهيام الجنسي ومحبة الوالدة لصغارها وميل الرضيع الى الرضاع الخ مما يشترك فيهِ الانسان وباقي الحيوان ٠ وقد يقوى بعض هذه السلائق وتتسع دائرة نطاقهِ بما يضاف اليهِ من المشاهدات ومكتسبات الاختبار فينتقل بالارث ويزداد في النسل نمواً كلما توالت عليهِ الاحقاب فزادتهُ اتساعاً ورسوخاً

وكل من استقصى درس الطبيعة يقرأ على برّها وبحرها كثيراً من الشواهد والادلة المعززة لذلك. فالحيوانات الداجنة مثلاً اذا نُقلت الى بلاد اجنبية وأُطلقت في الربيع لاول مرّةٍ فانها كثيراً ما ترعى من النباتات السامة ما يضر بها الى ان تتعلم تجنبهُ بالاختبار فتخالف في ذلك الحيوانات البرية التي قد حنكها توالي الاختبار وانتقلت الحنكة الى نسلها بالارث فصارت فيهِ غريزةً

ومن اعظم الادلة على تحوُّل بعض الافعال العقلية الى غرائز ثابتة ما يُرى في طيور جزائر المحيط من الاستئناس بالانسان عند اول مشاهدتهِ فانها لا تفزع منهُ الا بعد ما تختبر ميلهُ الى ايذائها ومقدرتهُ على الايقاع بها وينتقل اختبارها هذا مع الزمن الى نسلها فيجعلهُ حذِراً يفرُّ من وجه الانسان حالما يشعر بدنوّهِ منهُ

وعليهِ فالحيوان كالانسان خاضع لنواميس الارث وقابل لادّخار ما يكتسبهُ بالاختبار عن طريق الحواس وبالتالي للتوسع العقلي والارتقاء الادبي المرتبط هو بهِ بحيث ان بعض القوى العقلية قد يتحوّل الى غرائز وهذه تتدرج على توالي العصور الى ان تبلغ حد التعقل او تعود فتنحط تبعاً للاحوال وتقلبات الزمان والمكان التي تفوق الحصر عدّاً

اذا تقرر ذلك بقي علينا ان ننظر في الظواهر والافعال التي تُعزَى في الانسان الى العقل وفي الحيوان الى السليقة وسيتضح للقارئ فيما يلي ان بعض الحيوانات قد يفعل افعالاً يعجز بعض طبقات الانسان السفلى عن الاتيان بمثلها . وسنجعل بحثنا في ثلاثة امور وهي اللغة والافعال العقلية

والقوى الادبية

اما اللغة فلا مشاحة انهـا دليل قاطع على وجود العقل لتوقفها عليهِ وهي من اعظم الفوارق بين الانسان والحيوان ولذلك قيل في تعريف الاول انهُ « حيوان ناطق » . ولا شك ان للغة الاهمية الكبرى في اعلاء شأن الانسان وتوسيع نطاق مداركهِ الى حدٍ اقصاهُ عن باقي الحيوان فانفرد بمزية التفاهم بالالفاظ او بعبارةٍ أخرى باستعمال الاصوات المقطعية . ومع ذلك فالببغآء يقلدهُ في لفظهِ والحيوانات والطيور على اختلاف انواعها تصوّت باصواتٍ مختلفةٍ فتتفاهم بعض التفاهم في الامور العامة من مثل الدعوة والتحذير واظهار السرور والغيظ وطلب الطعام والضراعة والتهويل والمغازلة والمراودة وغير ذلك كما سيأتي . فالقرود وهي ارقى ذوات الاربع لها لغةٌ تفي بالتعبير عن ضروريآتها وكثيرٍ من ضروب وجدانها وذلك مما حدا مؤخراً بعض نصرآء العلم على استقرآئها وتقييد ما تيسر لهُ جمعهُ منها فتمكن بعد المزاولة الطويلة من الالمام بكثير من معانيها حتى صار يمكنهُ تقليد اصوات القردة مع التأثير المراد منها من مثل التحذير والارهاب والاستئناس الى غير ذلك غير ان التفاهم باستعمال الفاظٍ محدودة لمعانٍ محدودة خاصٌّ بالانسان

وكذلك الكلب فانهُ بعد ان دجن وطالت مصاحبتهُ للانسان توصل الى استعمال كثيرٍ من الاصوات المختلفة للدلالة على معانٍ مختلفة منها نباح الشوق في الطراد وهرير الغيظ في الغضب وعوآء اليأس اذا ضيّق عليهِ بحبس ونحوهِ ونباح السرور في الخروج بمعية مولاهُ ونباح الطلب او الضراعة في ابتغاء شيء من حوائجهِ كطلب طعام او فتح باب وما شاكل ذلك

اما الطيور فالداجنة تستعمل نحواً من اثني عشر صوتاً تعبر بها عما في اذهانها من الاغراض المختلفة كالدعوة والتحذير وطلب الطعام والغيظ وغير ذلك . ومن اغرب ما يحكى عن الببغاء من قبيل التعقل في استعمال الالفاظ ما رواهُ امير البحر السير سوليفان المشهور بدقة مراقباته عن ببغاء افريقيّ كان في بيت ابيهِ فانهُ كان يدعو اهل المنزل وبعضاً من الزائرين باسمائهم الخاصة ويحيي الجميع نهاراً بتحية الصباح وليلاً بتحية المساء من غير ان يخالف بينهما . واعجب من ذلك انهُ كان معتاداً ان يضيف عبارةً موجزةً الى التحية التي كان يحيي بها رب المنزل فلما مات لم يعد الى ذكرها قط

والصيادون المحنكون يعلمون جيدًا كيف تتفاهم اسراب الطير والحيوان باصوات التحذير فتسرع الى الفرار قبلما يداهمها الخطر وكيف تستنزل الطيور المحبوسة في اقفاصها الجماعات السابحة في الهواء فيقع النوع على نوعهِ والشكل على شكلهِ . ولقد اختبرتُ شيئاً من هذا القبيل في حداثتي وقد كنت شديد التعلق بالصيد فكنت اذا سمعت اصوات بعض الطيور في فصل الربيع اعلم وقلما اخطئ هل شرعت في بناء عشاشها ام لا واعرف من لهجاتها هل تقف بيضها عن الفراخ ام لا .

ويقال بالاجمال ان الكائنات باجمعها لها من اللغة او ما يقوم مقامها ما يفي بحاجاتها الضرورية ويضمن بقاءها . اما اذا قيل ان الحيوانات عطل من الافكار واللغة لا تتم بدون الافكار التي يعبَّر بها عنها قلنا ولماذا لا يغرد الغراب مثل البابل مع ان تركيب اعضاء الصوت في كليهما واحد

(ستأتي البقية)

البعوض

لحضرة الاديب اسعد افندي المعلوف
احد متخرجي المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت

قد اكثرت الجرائد العلمية الاجنبية في هذه الايام من الكلام عن البعوض وما لهُ من التأثير في جلب الامراض ونقل المدوى من العليل الى الصحيح كنقل حمّى الوبالة المعروفة بالحمى الملارية والحمى التيفوئيدية و بعض الامراض التي تختلط جراثيمها بالدم فاحببت ان اذكر لقرآء الضيآء فصلاً موجزاً في تولد هذه الحشرات ونموّها وكيفية معيشتها والوقاية منها فأقول

ليس لكل الحشرات قدرةٌ على نقل الامراض المعدية ولا كلها في ذلك سوآء فالذباب مثلاً ينقل العدوى في امراض العينين واكثر الامراض الجلدية ولكنهُ لا يقدر على نقل الحمّيات لان مقدّم فمهِ مخلوق على هيئةٍ تمكنهُ من اللحس والولغ ولكن ليس فيهِ ما يمكنهُ من وخز الجسم وامتصاص الدم ونقل ما يكون فيهِ من الجراثيم المرضية . وبخلاف ذلك البعوض فان لهُ في خرطومهِ آلةً تشبه المنشار يتصل بها شفتان تنضمّان عليها فاذا وقع على الجسم ضرب بذلك المنشار فيخرق الجلد ويمتصّ ما يخرج من الدم مفرزاً سيالاً يمنع جمود الدم لئلاّ يسدّ الجرح ويمنعهُ من الامتصاص ومتى اروى غليلهُ يطير من جسم الى آخر فيفرز ما قد امتصهُ من الجراثيم المرضية المختلطة بالدم

ويكثر البعوض في الاراضي التي تكثر فيها المياه الراكدة لانهُ يبيض في تلك المياه والاناث منهُ هي التي تنتشر في البيوت ومجامع الناس واما

الذكور فانها تقصد البراري الكثيرة الازهار او تحوم حول المآء تنتظر اناثها. وتبيض الانثى على وجه المآء ويكون الذي تضعهُ من البيض نحو ثلاث مئة بيضة تصفها على شكل قارب لتقوى على مقاومة الريح ولا تغرق عند تموّج المآء . وبعد ان يأتي عليها اربعة ايام او اكثر تبعاً لحرارة الجوّ يخرج من هذا البيض الدود المعروف فيلبث على وجه المآء ليتنفس الهوآء وهو يتنفس حينئذٍ من انبوبةٍ على طرف مؤخرهِ . وبعد مدةٍ تتحول الدودة منهُ الى زيز فيكبر رأسها حتى يأخذ معظم الجسم وينتقل تنفسها الى انبوبتين تتولدان في مؤخر الرأس . ويكون هذا الزيز مغلفاً بغشآء شفاف فيسبح في المآء دون ان يتناول غذآء ويبقى على هذه الحالة من خمسة الى خمسة عشر يوماً يتحول في خلالها الى بعوضة فتختار ظهر يوم شمسهُ محرقة ونسيمهُ لطيف فتُخرج هذه البعوضة رأسها من الغشآء الملتفة بهِ ثم تُخرج صدرها وقائمتيها المقدمتين الى خارج المآء وتعتمد برجليها على سطح المآء وهي معرّضة جناحيها لحرارة الشمس حتى اذا جفّ جناحاها وامكنها الطيران تخرج بقية جسمها من الغشآء خروج راكب البحر من السفينة وتطير في الجوّ . ولولا ما يصيب البعوض في تلك الحال من الآفات الجوّية وقوة الريح التي تغرّق الملايين منهُ قبل خروجهِ من المآء لكان يحجب عنا اشعة الشمس ولامتلأت البيوت من هذه الحشرات المؤذية

وافضل الطرق لمنع تكاثر البعوض ردم المستنقعات وتغيير مياه الحياض والبِرَك كل خمسة عشر يوماً على الاقلّ . واما في داخل المنازل فان كان هناك فوّهات مفتوحة دائماً تؤدي الى مجامع اقذار ورطوبات مما يكون

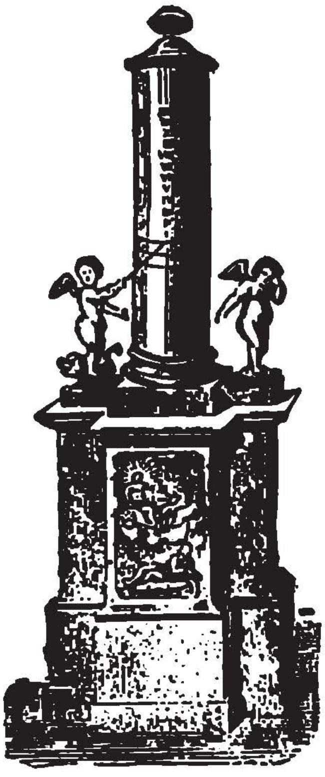
منبعاً مستمرًا للبعوض فافضل طريقة لهما ان لم يمكن سدّها ان يطرح في مجاري تلك الفوّهات كميات كثيرة من محلول السليماني ثم اذا فرّغ ما فيها تُطلَى الجدران كذلك بالمحلول نفسهِ فان البعوض على الغالب يذهب ولا يعود

البساعة المائية

كثيراً ما سئلنا عن صفة الساعة المائية التي اهداها هرون الرشيد الى الملك شرلمان ولهذه الساعة ذكرٌ شائعٌ على ألسنة بعض الناس ولكننا لم نجد من تكلم عليها في كتب العرب كما اننا لم نجد من تكلم على شيء من مصنوعات العرب ايام استفحال حضارتهم في بغداد والاندلس ما خلا اشيآء ذُكرت ذكرًا اجماليًّا في كتاب نفح الطيب للمقّري عند الكلام على بنآء بعض دور الملوك والمساجد وما زينت بهِ من المصنوعات النفيسة . وقد عثرنا على ذكر هذه الساعة في بعض تواريخ الافرنج ولكن جل ما وقفنا عليه في الكلام عنها انها كانت متقنة الصنعة في الغاية تقسم الوقت الى اثني عشرة ساعة ولها كراتٌ صغيرة من الصُفر كلما انتهت ساعةٌ سقط منها بعدد تلك الساعة على صنجٍ قد وُضع تحتها فيرنّ وذكر بعضهم انهُ كان فيها فُرسان بعدد تلك الكرات يخرجون من اثنتي عشرة كوّة وانها لما وصلت الى فرنسا اكبر الفرنسيس امرها وكان لها عندهم موقع اعجابٍ عظيم

اما استنباط هذا النوع من الساعات فالظاهر انهُ قديمٌ جدًّا ولعلها اول اصناف الآلات التي اختُرعت لقياس الوقت . واول ما عُرف منها كان

متخذاً من اناآء من الخزف او الزجاج في اسفلهِ ثقبٌ دقيق يخرج منهُ المآء قطرةً قطرةً فيسقط في اناآء آخر عليهِ خطوط تدل على الساعات وربما كانت هذه الخطوط على الاناآء الأعلى فاذا بلغ المآء احد هذه الخطوط دلَّ على الساعة من ساعات النهار او الليل . ومعلومٌ ان هذه الآلة لا تقسم الوقت قسمةً مدققة لان قَطَران المآء يسرع او يبطئ بحسب ارتفاع المآء في الاناآء الاعلى او انحطاطهِ فلا يخرج منهُ في الاوقات المتساوية مقادير متساوية ومع ذلك فانها كانت شائعة الاستعمال عند جميع الامم المتمدنة في تلك العصور ولا سيما في مصر وفينيقيا وبلاد اليونان والكلدان وكان كهان المصريين يستخدمونها في رصد حركات الكواكب واليونان يستعملونها في المحاكم لتقدير الاوقات التي يتكلم فيها اصحاب الدعاوي



على ان الافكار لم تزل موجهةً الى تصحيح هذه الآلة والبلوغ بها الى تمام الدقَّة والضبط واشهر من اشتغل بذلك اكتازيبيوس الرياضي الاسكندري المشهور نحو سنة ١٣٥ قبل الميلاد فغيّر هيئتها وعمل لها دواليب مضرَّسة ينصبّ المآء عليها فيديرها وبدورانها تحرك تمثالاً صغيرًا بيدهِ مخصرةٌ اي عصاً دقيقة وبجانبهِ اسطوانة مرسومٌ عليها عدد الساعات فاذا ارتفع التمثال دلَّ طرف العصا على الساعة كما تراهُ في الرسم ويقال ان ساعة الرشيد كانت آلتها من هذا النوع . ثم تفننوا فيها فاستبدلوا التمثال

والمخصرة بابرةٍ تدور على ميناء يشبه الميناء المستعمل لساعاتنا اليوم وهذه الابرة تتصل بطرف محورٍ متحرك قد لُفّت عليهِ سلسلةٌ منوطٌ بأحد طرفيها عوّام وبالآخر ثقل اخفّ قليلاً من العوّام فاذا ارتفع المآء في الاناء الاسفل ارتفع العوّام معهُ وهبط الثقل من الطرف الآخر فدار المحور وادار الابرة المتصلة بطرفهِ فدلّت على عدد الساعة المرقوم على الميناء

واستمرّ استعمال هذا النوع من الساعات الى اواخر القرن العاشر بعد الميلاد وحينئذٍ ظهرت الساعات ذات الدواليب فعدل الناس اليها واهملوا الساعات المآئية ويقال انهُ لا يزال الى اليوم من هذه الساعات في نرمنديا وهي مصنوعةٌ من اساطين من القصدير ذات حواجز باطنة في كلٍّ منها ثقبٌ فاذا مرّ المآء من حاجزٍ الى آخر دارت الاسطوانة

عمدة الصفوة في حِلّ القهوة

عثرنا على نسخةٍ من هذه الرسالة في احدى المكاتب القديمة وهي من الرسائل النادرة الوجود مؤلفها الشيخ عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي من اهل القرن العاشر للهجرة والنسخة مخطوطةٌ من عهدٍ يزيد على مئة وخمسين سنة. ولما كان مضمون هذه الرسالة مما تنوسي اكثرهُ لبعد العهد بهِ مع ما فيهِ من الغرابة على اسماع المعاصرين احببنا ان نطرف بها قرآء الضيآء بعد اسقاط ما لا يهمّ ذكرهُ ميلاً الى الاختصار ما امكن وايثاراً للتخفيف عن المطالع . وهي مقسومة الى بابين احدهما في صفة القهوة وتاريخها والثاني فيما صدر فيها من الاحكام وهذا ملخص ما في البابين

المذكورين نوردهُ بلفظ المؤلف قال

الباب الاول

في معنى القهوة وصفتها وطبعها وفي اي بلدةٍ بدأ انتشارها ولأيّ معنًى طُبخت وشُربت وعلا منارها

اعلم ان القهوة هي الشراب المتخذ من قشر البُنّ او منهُ مع حبّهِ المجحَّم بضم الميم وفتح الجيم والحاء المهملة المشددة اي المقلي . وصفتها هي ان يوضع القشر اما وحدهُ وهي القشرية او مع البنّ المجحَّم المدقوق وهي البنّية ثم يُغلى حتى تخرج خاصيّتهُ . . فمن قائلٍ بحِلّها يرى انها الشراب الطَهور المباركة على اربابها الموجبة للنشاط والاعانة على ذكر الله تعالى وفعل العبادة لطلّابها ومن قائلٍ بحرمتها مفرطٍ في ذمها والتشنيع على شرّابها وكثر فيها من الجانبين التصانيف والفتاوَى وبالغ القائل بحرمتها فادّعى انها من الخمر وقاسها بهِ وساوَى وبعضهم نسب اليها الاضرار بالعقل والبدن الى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية الى الجدال والفتن وحصول ما ادّى الى منازعاتٍ ومحن بمكة ومصر القاهرة والمنع من بيعها وكسر اوانيها الطاهرة بل الى تعزير باعتها بالضرب وغيرهِ من غير حجةٍ ظاهرة والى تأديبهم بضياع مالهم واحراق القشرة المتخذة منهُ في كرّاتٍ متواترة وبالغ الذامّ بها أن شاربها يُحشر يوم القيامة ووجههُ اسود من قعور اوانيها وكثر التقاطع والتدابر بين الفريقين والذم لمن يعانيها وسيرد عليك ما قيل في حقيقتها من السؤال والجواب مما يكشف عن وجهها لمستعملها النقاب ويوضح اباحتها على الصورة التي لا قدح فيها ولا ارتياب ويمنع من

خلاف ذلك بحجج سالكة في جادّة الصواب

فاما اشتقاق اسم القهوة كما قال العلاّمة الفخر ابو بكر بن ابي يزيد في مؤلفهِ اثارة النخوة بحِل ّ القهوة انها من الاقهآء وهو الاجتوآء اي الكراهة او من الاقهآء بمعنى الاقعاد من اقهى الرجل عن الشيء اي قعد عنهُ ومنهُ سميت الخمرة قهوةً لانها تُقهي اي تكرّه الطعام او تُقعِد عنهُ حسبما نُقل عمن يعرف احوالها فكذلك هذا المعنى المذكور فتكرّه او تُقعِد عن النوم الموضوعة في الاصل لإِذهابهِ لما يترتب عليهِ من قيام الليل المطلوب شرعاً . على انها اولى بتسمية ذلك من الخمر لا سيما وقد تلاعبت بلفظها الصوفية وتداولتهُ وعبرت بهِ عن المحبة .. وبعضهم كان يكسر القاف ويقول القِهوة فرقاً بين القهوتين .

واما طبعها فذهب كثير من الاطبآء الحذاق انها حارّة يابسة وقال آخرون انها باردة يابسة وهذا مذهب اهل الذم لها . ومن اعظم منافعها اذهاب النوم وان كان للسهر اسبابٌ كثيرة من قلة الاكل وترك التعب في النهار والقيلولة وغير ذلك مما تقرر في كتب السادة الصوفية

واما مبدأها فقال الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار ما لفظهُ . ان الاخبار قد وردت علينا بمصر اوائل هذا القرن (القرن العاشر للهجرة) بانهُ قد شاع في اليمن شرابٌ يقال لهُ القهوة تستعملهُ المشايخ الصوفية وغيرهم للاستعانة بهِ على السهر في الأذكار التي يعملونها على طريقتهم المشهورة ثم بلغنا بعد ذلك بمدّة ان ظهورها وانتشارها فيهِ كان على يد المشهور بالعلم والولاية الشيخ الامام العالم العلامة المفتي المسلك جمال الدين ابي عبد الله

محمد بن سعيد المعروف بالذبحاني بفتح الذال المعجمة وسكون الموحدة وفتح المهملة وبعد الفه نون مكسورة نسبة الى ذبحان بلدة معروفة باليمن وسمعنا انهُ كان متولياً بوظيفة تصحيح الفتاوى في عدن وهي وظيفةٌ كانت بها اذ ذاك تُعرَض على صاحبها الفتاوى فيُقِرّ ما يراهُ صواباً ويكتب تحتها صح بخطهِ وينبه على ما يرى اصلاحهُ . قال وسبب اظهارهِ لها ما سمعناهُ ايضاً انهُ كان عرض لهُ امرٌ اقتضى الخروج من عدن الى برّ العجم فاقام بهِ مدةً فوجد اهلهُ يستعملون القهوة ولا يعلم لها خاصيّة ثم عرض لهُ حين رجع الى عدن مرضٌ فتذكرها فشربها فنفعتهُ فيهِ فوجد فيها من الخواص انها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفةً ونشاطاً . فلما سلك طريق التصوف صار هو وغيرهُ من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على ما ذكرناهُ ثم تتابع الناس بعدن والفقهاء والعوامّ على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغيرهِ من الحِرَف والصناعات ولم تزل في انتشار . قال ثم اني كتبت لبعض اخواننا في الله تعالى من اهل الدين والعلم بزبيد وهو الفقية الاجلّ جمال الدين ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم العلامة عبد الغفار العلوي وهو من بيتٍ كبير بزبيد مشهورٍ اهلهُ بالعلم والدين ان يبحث لي عمن شربها باليمن ممن يُعتدّ بهِ من اهل العلم والدين وعن اول حدوثها فيهِ فكان مما كتبهُ اليّ في الجواب ما صورتهُ . وما ذكرهُ لي سيدي من البحث عمن شربها من اهل اليمن فسأل المملوك جماعةً من المعمّرين في بلدنا وأسنُّهم الآن عمرًا الفقيه العالم الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن ابرهيم العلويّ فانهُ الآن قد زاد على التسعين فاخبرني عن مبدأ امر القهوة وذلك انهُ قال كنت بمدينة

عدن فوصل الينا بعض الفقرآء السالكين وكان يعمل القهوة ويشربها وانهُ كان يعملها للشيخ العلامة خاتمة العلمآء في ثغر عدن الفقيه محمد المعروف بأفضل الحضرمي والشيخ العارف بالله محمد الذبحاني ويشربانها بمحضر الناس وكفى بهما حُجَّةً . قال العلامة ابن عبد الغفار يحتمل ان يكون الذبحاني اول من ادخلها عدن كما هو المشهور ويحتمل ان يكون غيرهُ ولكنها نُسبت اليهِ لكونهِ السبب في ظهورها والشيخ شهاب الدين الذبحاني توفي سنة خمس وسبعين وثمانمائة والآن سنة ست وتسعين وتسعمائة فمدتها تزيد عن مئة عام وذلك من مبدأ ظهورها باليمن لا غيرهِ لان ظهور القهوة في برّ ابن سعد الدين وبلاد الحبشة والجبرة وغير ذلك من برّ العجمّ لا يعلم متى كان اولهُ ولا سببهُ

وقال العلامة فخر الدين بن ابي يزيد المكي ما لفظهُ . قيل اول من انشأها الشيخ صالح ابو عبد الله محمد بن سعيد الذبحاني والذي بلغنا ان اول من انشأها واشاعها بأرض اليمن الشيخ العارف بالله عليّ بن عمر الشاذلي احد تلاميذ الشيخ ناصر الدين بن ميلق احد السادة المشايخ الشاذلية وانها كانت قبلاً من الكفتة اي الورق المسمى بالقات لا البُنّ ولا قشرهِ فما زالت تنتقل من بلدٍ لاخرى حتى وصلت الى عدن فعُدِمت الكفتة من عدن في زمن الشيخ محمد بن سعيد الذبحاني المذكور وقال لمن يلوذ بهِ وينتمي اليهِ ان البنّ يُسهر فامتحِنوا بنا قهوتهُ فامتحنوها فوجدوها تعمل عملهُ مع قله الثمن والمؤنة ثم استمرّ شربها في منشأها وغيرهِ مما لا نطوّل بذكرهِ . ولا منافاة بين الكلامين كما لا يخفى اذ من نقل الاول راى الى القهوة القشرية ومن نقل الثاني رأى الى القهوة القاتية (ستأتي البقية)

الطاعون

لا تزال احوال الوبآء في ثغر الاسكندرية على نحو ما وصفنا في الجزء السابق غير أنا لم نكد في هذه المدة نقف على جريدة من جرائد الثغر او على رسالةٍ من مكاتبي سائر الجرائد فيهِ الا نراها مشحونةً بالشكوى من تقصير الحكومة في تدارك امتداد الدآء وشُحّها بالنفقات اللازمة الى حدٍ لا تجيزهُ الحكمة في مثل هذه الحال ولا مكان فيهِ للعذر لانهُ قد تعين لها فيما يقال مبلغ ثلاثين الف جناي لمقاومة الوبآء وهي لا تنفق منهُ الا النزر اليسير لانها لم تزد في احوال الاحتياطات الصحية وعدد رجالها من الاطبآء وغيرهم ما فيهِ غنآء وزاد على ذلك جهل بعض مستخدميها واطماعهم وعبثهم في معاملة الناس مما يضيق عن استيعابهِ هذا المقام بحيث انهم كانوا طاعوناً آخر على الاهالي وبحيث انهُ لولا حرارة الفصل الذي نحن فيهِ لم يقف شيء في طريق استفحال الوبآء وتفشيهِ الى سائر اطراف البلاد

اما عدد الاصابات فلم يتجاوز الى الآن الاصابة والاصابتين في اليوم على سلامة كثيرين من اصحابها فان جملة من اصيبوا الى هذا اليوم ٢٨ من الشهر الحالي) ٤٢ نفساً توفي منهم ١٧ وشُفي ١٤ والباقون تحت المعالجة . غير أن العدد لا يعتبر في شيء في هذا المقام انما الشأن كل الشأن في تتابع الاصابات واتصالها وامتداد مواقعها في جهات البلدة بحيث انهُ لا يكاد يمرّ يومٌ الا تقع فيهِ اصابةٌ في ناحيةٍ منها فاذا مضى الامر على ذلك الى انقضآء هذا الفصل ودخل فصل البرد وجراثيم الدآء باقية لم نأمن انتشارهُ بما يجعل البلاد بأسرها شعلةً واحدة ويلتهم الهشيم والاخضر والامر يومئذٍ لله

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ نرى من اسمآء الطيور والحيوانات ما لهُ مذكر وليس لهُ مؤنث كالغراب مثلاً ومالهُ مؤنث وليس لهُ مذكر كالحية فكيف ندل على التأنيث في الاول والتذكير في الثاني احد مشتركي الضيآء

ايوب الشيخاني

الجواب ـ قلما اعتنت العرب بتمييز الذكر من الانثى الا في الحيوان الداجن والمشهور من غيرهِ وتأنيثهُ بالتآء قليل كالكلب والكلبة والهرّ والهرّة والغزال والغزالة والذئب والذئبة والاكثر ان يضعوا اسماً للانثى من غير لفظ الذكر كما قالوا الحصان والحِجر والبعير والناقة والكبش والنعجة والليث واللبؤة . وما جآءت فيهِ التآء من غير ذلك فليست للتأنيث وانما هي غالباً لتمييز الواحد من الجمع كالحمام والحمامة والبط والبطة والنمل والنملة وحينئذٍ فهو للذكر والانثى جميعاً . وربما وُضع الواحد على لفظ التذكير أو التأنيث لازماً لهُ كالغراب والخلد والحية والبهيمة والافعى والخنفسآء وغير ذلك وهو كالذي سبقهُ يُطلَق على الذكر والانثى فاذا أُريد التمييز في كل ذلك قُيِّد بالوصف فيقال حمامةٌ ذكر وحمامةٌ انثى وغرابٌ ذكر وغرابٌ انثى وحيةٌ ذكر وحيةٌ انثى وقس على ذلك والكلام في هذا الباب واسعٌ اقتصرنا منهُ على الاشهر

كولس تكساس (اميركا) ـ هل لكم ان تصفوا لنا طريقة لحفظ البيض من الفساد مع بقآء لون القشرة الطبيعي وكم يمكن ان يبقى

مستفيد

الجواب - افضل طريقةٍ لحفظ البيض من الفساد ان يُطلى بما يسدّ مسامّ قشرهِ ويمنع نفوذ الهوآء الى داخلهِ وهذا المنع للهوآء لا يضرّ شيئاً بالجنين ولا يمنعهُ من التفقف بل الامر على العكس فانهُ يحفظهُ زماناً اطول مما يُحفَظ بكل طريقةٍ اخرى وقد شوهد من البيض ما نقف بعد حفظهِ مدة سنتين في الطلآء

اما صفة هذا الطلآء فيُحل مقدارٌ من صمغ اللك في مقدارٍ كافٍ من الكحل (السبيرتو) بحيث يكون منهُ طلآءٌ خفيف ثم يُطلى بهِ البيض ومتى جفّ يُغرَز في النخالة او نشارة الخشب ويُجعَل الطرف الاغلظ منهُ الى الهوآء ثم متى أُريد استعمال البيض يُمسَح الطلآء عنهُ بواسطة الكحل فيوجد في نفس الحالة التي كان عليها في الوقت الذي طُلي فيهِ اي صالحاً للاكل والحضانة وهذه الطريقة افضل الطرائق التي امتُحنت فيهِ واضمنها للنجاح

هذا اذا كان البيض غير معرَّض للنقل اما اذا أُريد نقلهُ في المركبات فافضل ما يُحتاط لهُ بهِ ان يُجعَل في اوعيةٍ من صناديق او سلال وينضَّد تنضيدًا متخلخلاً بأن يُجعَل بينهُ حُزَمٌ من العُصافة (القش) او يُرمس في التبن بحيث لا يكون مضغوطاً ولا متماساً ويعلَّق الوعآء الذي هو فيهِ تعليقاً بحيث لا تؤثر فيهِ الصدمات التي تعرض لسائر اجزآء المركبة وعلى كل حالٍ فالأحوَط ان يكون البيض المحفوظ والمنقول من البيض العقيم اي الذي لا يفرخ لان الجرثومة التي تكون فيهِ اذا عرض لها فسادٌ ماتت وافسدت ما حولها

آثار ادبيّة

سرّ تقدم الانكليز السكسونيين ـ أهديت لنا نسخةٌ من كتابٍ بهذا العنوان موشّى بقلم حضرة الاصولي الفاضل الكاتب البليغ احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الابتدآئية وهو معرَّب عن كتابٍ فرنسويّ العبارة ظهر من عهدٍ قريب من تأليف الكاتب الشهير ادمون ديمولان بحث فيهِ عن احوال الامة الفرنسوية وعاداتها واخلاقها وما جرت عليهِ من طرق التربية والتعليم في ابنآئها وقارن في ذلك كلهِ بينها وبين الامة الانكليزية فاستدل منهُ على مواضع النقص في امتهِ واسباب ضعفها وتخلف رجالها عن رجال الانكليز . وقد كسر الكتاب على ثلاثة ابواب وصف في اولها نظام التدريس عند الامة الانكليزية وكلٍّ من الامتين الفرنسوية والالمانية وما ترتب عليهِ من النتائج في كل واحدةٍ منها وقارن في الثاني والثالث بين الفرنسوي والانكليزي في معيشتهما الخصوصية وحياتهما العمومية فبحث عن حال المواليد والوفيات واحوال الاحتراف والعيشة المنزلية وما ينشأ عن ذلك كله من احوال الثروة العمومية وقارن بين ارباب السياسة ورجال القضآء في البلادين وسائر من يرجع اليهِ حالٌ من احوال جمهور الامة كالاطبآء والكتاب واصحاب الجرائد وغيرهم بحيث احاط بجملة اطوار الامتين وقابل بين كلٍّ منها وما يقارنهُ . وقد كان لهذا الكتاب وقعٌ جليل بين مواطنيهِ وتلقاهُ عقلآء قومهِ بالتدبر والاستبصار وكانت عنهُ حركةٌ عظيمة في الجرائد والمحافل ونُقل الى اكثر لغات اوربا حتى صار في

اقل من سنةٍ اشهر من الصبح

وقد عُني حضرة الفاضل المشار اليهِ بنقلهِ الى اللسان العربي لما رأى من ان اكثر ما جآء فيهِ من وصف حال الامة الفرنسوية ينطبق على حال الامة العربية ولا سيما المصريين منها مع اتفاق الامتين في كثيرٍ من العادات والاخلاق والافكار فزفَّهُ اليها في عبارةٍ واضحة المغزى سهلة المفهوم حريةٍ بان يستفيد منها كل ناطق بهذا اللسان وصدّرهُ بمقدمةٍ جليلة لا تنزل عن رتبة كلام المؤلف في الاصابة والاحاطة اودعها ما شآء من الحكمة والسداد وقوارع التنبيه والارشاد وشرح الحالة التي عليها الامة العربية لهذا العهد فأفاض في ذلك بما لم يدع كبيرةً ولا صغيرةً من نقائص التربية وغيرها الا اماط عنها النقاب وذكر ما ترتبط بهِ من الاسباب وما تجرّ اليهِ من الوبال والخراب

والمقدمة المذكورة طويلةٌ جدًّا نشير منها الى ما بدأ بهِ تعداد تلك النقائص وهو رأس عيوب الامة واصعبها علاجاً واصلاحاً ونعني بهِ ما عمّ اكثر افرادها من الإعراض عن مطالعة الكتب النافعة والتجافي عن المباحث الجدّية وانصرافهم الى كتب السفاسف والخرافات والتعلق بأقاصيص اللهو والحكايات المضحكة . وذكر من اسباب ذلك ما استولى على افكار الامة من الفتور والخمود وترك الاكتراث باحوالها ومصايرها لما توالى عليها من الازمنة الطوال وازمّة امورها في ايدي سواها لا تعرف نفسها في هذه المدد كلها الا طوعاً لما يراد بها حتى ماتت فيها ملكة البحث والنظر واصبحت تتفادى من كل ما فيهِ إعمالٌ للفكر اوكلفةٌ على القوى المدركة . وهذا

ولا جرم اول الجهات التي تفترق فيها الامة العربية عن الامة الفرنسوية بل هو الدآء الذي ان لم يُشفَ سدّ على سائر الادوآء مناهج الشفآء

غير انهُ مع ما ذكر من هذه الحال وما يُستشَفّ ورآء كلامهِ من ضعف الامل ان يحصل عندنا من هذا الكتاب الفائدة التي يتوقع المؤلف حصولها عند امتهِ فلا شك ان انتداب مثل حضرتهِ للاهتمام بتعريبهِ ونشرهِ وما ابانهُ من صدق الميل الى حمل الامة على مضمونهِ دليلٌ على حدوث نهضةٍ حقيقية للاخذ باسباب الفلاح العصري وحسبنا من هذه النهضة أنّا قد وجدنا في كبرآء هذه الامة وذوي المكانة المرعية فيها والكلمة المسموعة من تنبه للمقارنة بينها وبين غيرها من امم هذا العصر ودلّ على ما بها من مواضع النقص واسباب الضعف بتلك المقارنة عينها غير متحرجٍ من دعوتها الى الاقتدآء بأناسٍ على غير طريقتها ومن غير طينتها وإشرابها حب الجري في سبيلهم والاستنان بسنتهم . وذلك ولا شك مما يبعث الامل في انا لا نلبث ان نرى سوى هذا الهمام من سراة الامة وقادة افكارها يقتفي اثرهُ ان لم يكن بالتأليف والكتابة فباللسان والهوى مما يُقنع الجاهل والمقلد بان اتباع حكمة غير الشرقي لا يضع شيئاً من قدر الشرقي وأن ذلك متى رسخ في صدور الخاصة ولهجت بهِ السنتهم في المجالس وخطبوا بهِ في المحافل وتحرّوا الجري عليهِ بالعمل لا تلبث العامة ان تطمئنّ اليهِ وترغب فيهِ فلا يبقى ما عند الاجنبيّ ممقوتاً عندها ولو كان الخير بحدهِ ومتى بلغت الى ذلك فهي المنزلة التي تُقبل الامة فيها على مثل هـذا الكتاب وتجهد في تفهّم فحواهُ واتباع ما يرشد اليهِ من سبل الفلاح

فنحن نثني على حضرة المعرّب اجمل الثنآء ونسأل لهُ تحقيق امانيهِ فيما يسعى اليهِ من النفع في البلاد ونحضّ كل متأدب من ابنآء هذه اللغة على مطالعة هذا السفر الجليل والانتفاع بما فيهِ من الحكمة والرشاد

رُزْء وطني

رُزِئَ القطر بفقد من كان للفضل منهلاً غزيراً وللعلم كوكباً منيراً المرحوم احمد بك حمدي الطبيب الجرّاح المشهور صاحب المآثر العديدة والتآليف المفيدة قبضهُ الله اليهِ في اوائل الشهر الحالي عن ستٍ وخمسين سنة قضاها في خدمة العلم والانسانية متقلباً بين المناصب المهمَّة والافعال الخيرية الى ان وافتهُ دعوة ربّهِ فقضى مأسوفاً عليهِ مزوَّداً بصالح الاعمال تاركاً من جميل الذكر ما يستدرّ عليهِ المراحم مدى الايام والليال

اما ترجمتهُ فهو على ما يؤخذ من خطط المرحوم علي باشا مبارك السيد احمد بك حمدي ابن السيد محمد علي باشا الحكيم ابن السيد علي الفقيه البقلي وينتهي نسبهُ الى السيد سليمان البقلي الشريف الحسيني صاحب قرية زاوية البقلي بالمنوفية . وُلد بالقاهرة سنة ١٨٤٣ ميلادية وتلقى مبادئ العلوم في احدى المدارس الفرنسوية بها ثم درس العلوم الشرعية على أُناسٍ من جلة علمآء القطر منهم العلامة المشهور الشيخ السيد علي ابو خليل الاسيوطي وانتظم بعد ذلك في حلقة طلبة الطب بالقصر العيني ولما ظهرت نجابتهُ ارسلتهُ الحكومة المصرية الى باريز ثم الى لندرا للتخرج في صناعة الطب فنال

شهادة الدكتورية من مدرسة باريز وامتاز في فن الجراحة . ولما عاد الى مصر عُيّن مدرّساً للجراحة وطبيباً للمستشفى الاميري بالقصر العيني ثم عيّن مفتشاً اول للصحة في مدينة القاهرة واستمرَّ في هذه الخطة الى زمن ظهور الكوليرة سنة ١٨٨٣ فكان لهُ فيها اثرٌ يُحمَد . ولم يزل يتقلب بين الخطط الطبية مواظباً على تعاطي اعمال الجراحة الى ان ابتُلي في شهر مارس من هذه السنة بدآء اقعدهُ عن العمل فلزم منزلهُ الى اوائل هذا الشهر حين استأثرت بهِ رحمة الله اجزل الله في النعيم ثوابهُ وسقى بشآبيب الرضوان ترابهُ

وقد كان رحمهُ الله كاتباً مجيداً في اللغتين العربية والفرنسوية ولهُ عدّة تآليف منها كتابٌ في الجراحة العملية وما يتصل بها من ضروب المعالجات سماهُ تحفة الحبيب وقسمهُ الى ثلاثة اقسام الاول في العمليات الجراحية الصغرى والثاني في التضميد والثالث في الاربطة والتعصيب وقد طُبع هذا الكتاب سنة ١٢٩٦ . ومنها رسالة وضعها باللغة الفرنسوية ضمَّنها تقريرًا مطوّلاً في الكوليرة سنة انتشارها في القاهرة واودعها فوائد كثيرة علمية واحصآئية والرسالة المذكورة طبعت سنة ١٨٨٣ . ومن مهمّ ما اشتغل بهِ تتميم المؤلف الجليل الذي كان قد شرع فيهِ المرحوم والدهُ الشهير وهو معجمٌ في المصطلح الطبي والعلمي الا انهُ لم يتمهُ ايضاً وهو ولا شك من التآليف الجزيلة النفع فضلاً عن ندرة مثلهِ في البلاد وفي مأمولنا ان يُندَب لهُ من من ثقات اهل العلم من يُتمّ تأليفهُ ويجمع شتاتهُ حرصاً على ما فيهِ من الفوائد الجديرة بالأحيآء واستدراراً للرحمة على واضعيهِ جزاهما الله على ما عانيا فيهِ خير الجزآء

فكاهات

حسنات الحب

بقلم حضرة الكاتبة السيدة لبيبة هاشم

يأذن لي القارئ الكريم ان اقصّ على مسامعهِ حادثةً جرت حقيقةً وهي مع ما فيها من غرابة الواقعة وفكاهة الحديث لا تخلو من فائدة للمطالع اذ تنبههُ الى التحذر من مثلها مما يمكن حدوثهُ في كل زمانٍ ومكان

رُوي ان في مدينة القسطنطينية قصراً شاهق البنيان متسع الاركان تقطنهُ أُسرةٌ شريفة مؤلفة من ارملة طاعنة في السن وخمسة بنين متزوجين ولهم اولاد بحيث كان عدد اعضاء تلك الاسرة ما يزيد عن العشرين وكان القصر مفروشاً باحسن الرياش ومزداناً بأثمن التحف

في مساء ١٥ يونيو من سنة ١٨٨٩ قُرع الباب قرعاً خفيفاً فأطلّ الحاجب من كوّةٍ صغيرة فرأى فتاةً ذات جمال باهر يدهش الابصار وعينين سوداوين ترميان الفؤاد بنبال ويتبين من هيئتها انها في الرابعة والعشرين من العمر متدثرة برداء اسود بسيط الهيئة واسع الاكمام وعلى رأسها قبعةٌ بيضاء مغضّنة (مكشكشة) الاطراف مما يدل على انها راهبة من خدمة الدين .
فبهت الرجل لذاك الجمال وجعل لا يرفع طرفهُ من النظر اليها وقد شعر في فؤادهِ بخفقانٍ شديد وكأن لسان حالهِ ينشد قول الشاعر المصري

اری لوعةً بين الجوانح لا تهدا ‏ اهذا الذي سماهُ اهل الهوى وجدا

ثم فتح لهـا الباب فدخلت ونظرت اليهِ بلطفٍ واحتشام وقالت بصوتٍ يأخذ بمجامع الفؤاد رقةً وحلاوةً اليس هذا منزل يعقوب بك . فقال بلى يا سيدتي . قالت وهل السيدة صاحبة القصر هنا . قال نعم . فتناولت بطاقة زيارة قد كُتِب عليها باللغة الفرنسوية « الاخت اوغستين ماريا » واعطتهُ اياها قائلةً تكرم بتسليم هذه الى حضرة السيدة واخبرها اني بحاجةٍ الى مقابلتها . فأخذ بطاقتها وانطلق بها ثم عاد بما امكنهُ من السرعة قائلاً بتأدب لتتفضل السيدة بالدخول فان مولاتي بانتظارها . قال ذلك وسار امامها حتى اوصلها الى ردهة الاستقبال ثم انحنى امامها باحترام وانصرف

فلبثت واقفة هنيهةً تتفرس في عظمة القصر وزخرفهِ وتنعم النظر في مداخلهِ ومخارجهِ ثم دخلت الردهة وجلست في احدى جوانبها وكانت تبدو على محياها الصبيح مظاهر القلق والارتباك فأخذت تتلاهى بالنظر الى موجودات الردهة وزينتها معجبَةً بما فيها من جمال الرياش وحسن الترتيب وكمال الذوق . ولم يكن الاّ القليل حتى اقبلت ربة المنزل وكانت سيدةً جليلة المنظر عظيمة الشأن يكللها المشيب ويزينها الوقار فنهضت الراهبة وحيتها باحترام فأجابت السيدة تحيتها بابتسام ثم جلست بازآئها

فابتدرت الراهبة مضيفتها بحديثٍ اوضحت لها فيهِ اسباب زيارتها قالت اني راهبة من اخوات المحبة في بلاد مصر ارسلتني رئيسة الدير الى هذه الديار في بعض المهام فاتفق وصولي مسآءً بحيث تعذر عليَّ استئناف المسير وحدي لبلوغ الدير الذي اقصدهُ . وانا كما ترينني فتاةٌ غريبة اجهل الطريق المؤدي اليهِ واخشى خطر الالتجآء الى مكانٍ لا اعرف صفات اهلهِ فحرت في امري

واخيراً نصح لي بعض المارّة ممن سألتهم بأن اقصد هذا المنزل لما امتاز بهِ اهلهُ من طيب العنصر ومكارم الاخلاق وحسن السمعة وعليهِ تجرأت على طرقِ منزلكِ آملةً ان اجد فيهِ من كرم الضيافة ما يجعلني ابيت هذه الليلة قريرة العين آمنةً من كل خطر . فان شئتِ تحقيق آمالي وتكرمتِ بقبولي في منزلكِ اوليتني نعمةً وطوقتِ جيدي بفضلكِ والاّ فارجوان تأمري احد خدمكِ بمرافقتي ليرشدني الى الدير ولكِ مني الشكر الجزيل في كل حال

فقالت ربة المنزل بل مرحباً بكِ واهلاً بمقدمكِ ايتها الاخت المباركة ومهما طال زمن اقامتكِ عندنا فانكِ مقبولة على الرحب والسعة

فاشرق وجه الفتاة فرحاً واستبشاراً وشكرتها بأعذب الالفاظ . وبعد ذلك انتقلتا في الحديث الى امور شتى كانت تُظهر ما للراهبة من طول الباع في حسن المعاشرة ولطف المحاضرة فوق ما وهبها الله من الجمال النادر واللطف الساحر بحيث اخذت بمجامع قلب المضيفة التي جعلت تمجد الخالق العظيم . ثم سارت بها بعد ذلك الى احسن غرفةٍ من القصر فأنزلتها بها بعد ان عرّفتها بسائر اعضاء أسرتها فلم يكن اعجابهم ببديع طلعتها اعظم منهُ بباهر آدابها

اما البوّاب فلبث مدةً طويلة قلق البال مشتت الافكار وهو ينتظر خروج الراهبة بقلبٍ قد فارقهُ الصبر لينتمتع بنظرةٍ اخرى من محياها الفتان ولما طال انتظارهُ وهو يحسب الدقائق اياماً طوالاً ذهب فاستخبر عنها بعض الخدم فعلم انها ستقيم تلك الليلة في القصر وقد انزلتها ربة المنزل بالغرفة الشمالية من الطبقة العلوية . فعاد أدراجهُ معللاً النفس بمشاهدتها عند انتهاء

مدة الضيافة

وقضى اهل المنزل تلك الليلة مع الراهبة وهم في اتمّ السرور والاعجاب بمحاسنها ولطف حديثها وقد اجتمعوا حولها وجلسوا يؤانسونها ويحادثونها وهم يرون من كمال آدابها ورقة اخلاقها ما سحرهم جملةً . وما زالوا على ذلك الى ان انتصف الليل اوكاد فنهض كلٌّ منهم الى مضجعهِ ودخلت الراهبة غرفتها وساد السكوت في المنزل فلم تُسمع رنة الساعة الاولى بعد نصف الليل حتى كان السكون مخيماً حول القصر لا يُسمع هناك سوى حفيف الاشجار التي تكتنفهُ من كل جهاتهِ والرياح تهب متخللةً اغصانها فتحدث في المكان رهبةً يزيدها ظلام الليل استيحاشاً

وكان يحيط بالقصر حديقةٌ غنآء واسعة الارجآء ممتدة الاطراف قد كسيت ارضها بالنباتات والازهار وخيمت فوقها الاشجار وامتدّ حولها سورٌ مرتفع ينتهي طرفاهُ بباب كبير مصفح بالحديد وعلى مقربةٍ منهُ غرفةٌ صغيرة فيها من الاثاث كرسيّان ومائدة وفي احدى زواياها سريرٌ ملقى عليهِ رجلٌ هو الحاجب بعينهِ الذي هام بجمال زائرة القصر وكان حتى تلك الساعة يتململ على سريرهِ وقد هجرهُ الرقاد وناب مكانهُ خيال الراهبة فلم يبرح من امام ذهنهِ منذ وقع نظرهُ عليها

واخيراً نهض متثاقلاً وخرج يتنقل في الحديقة ونظرهُ متجهٌ دائماً نحو مخدع فاتنتهِ التي سلبت لبهُ واسهرت جفنيهِ . وانهُ لكذلك اذ لمح من نافذتها نوراً يظهر تارةً ويحتجب اخرى كما لو كان شخصٌ يمشي بازآئهِ ذهاباً واياباً فخفق فؤادهُ لتحققهِ انها لا تزال مستيقظة واخذت عواطفهُ تجذبهُ

لصعود السلم واستراق النظر اليها من خرق الباب ولكن آدابهُ كانت تحول دون اتمام قصدهِ ولا سيما وانهُ قد ربي في ذلك المنزل منذ حداثتهِ فشب على الامانة وحسن الخدمة بحيث كانوا يأتمنونهُ على اموالهم وخزائنهم وكل ما في منزلهم . ولكن الحب ابو العجائب يلعب بالافكار وليس من قضآئهِ فرار فصمم على اتباع هواهُ ولو كان في ذلك تلفهُ فاجتاز السلم ثم عطف في رواقٍ طويل انتهى بهِ الى باب غرفتها وكان في اثنآء ذلك يتصور مقدار جمال فاتنتهِ وهي بلباس النوم بدلاً من ذلك الثوب القاتم الذي كان يحجب غصن قوامها عن النظر . فيتجلى لهُ منظرها بما يفضح قدّ البان ويزري بجمال القمر . ثم اقترب من الباب بقلب خافق ولكنهُ توقف لحظةً يمسح العرق البارد المتحلب من جبينهِ وعاد فاستجمع ما بقي لديهِ من القوة وانحنى بكل تأنٍ وحذر خوف ان تُسمع لهُ حركةٌ ترتاع لها تلك الظبية الانسية ونظر الى الداخل من ثقب الباب . . . .

وهنا يصعب وصف ما فاجأهُ من الدهشة والانقلاب فانهُ لو انقضت عليهِ صاعقةٌ حينئذٍ لم يكن تأثيرها باعظم مما نالهُ من ذلك المشهد . فانهُ رأى تلك المخلوقة الجميلة والراهبة الورعة بل اخت الملائكة وخادمة الدير منتصبة على قدميها في وسط الغرفة وقد خلعت عنها الردآء الخارجي والقتهُ جانباً فظهر من تحتهِ جسمها مدججاً بالسلاح وممنطقاً بحزامٍ من الجلد والى الجهة اليسرى من خصرها حلقةٌ من حديد تضم عدداً وافراً من المفاتيح المختلفة الحجم والشكل . وقد تبدلت منها تلك النظرات اللطيفة بشرر كان يتطاير من مقلتيها كانها بعض الائمة الاشرار ويزيد في انقلاب سحنتها ما

كانت تمتصهُ بشَرَهٍ من التبغ في ذلك الحين فيخرج دخانهُ من فُيها كغيوم تتكاثف من حولها فيبددها النسيم . ثم اقتربت من المصباح فاخذتهُ بيدها وادنتهُ من النافذة وجعلت تحركهُ باشارةٍ تدل على وجود رفاقٍ لها متربصين بالخارج فتكلمهم برموزٍ واشارات متفقٍ عليها قبلاً

اما الرجل فجمد الدم في عروقهِ وجحظت مقلتاهُ فلبث هنيهةً لا يبدي حراكاً واخيراً تنبه من غفلتهِ فعلم ان الحال لا تسمح لهُ بضياع دقيقةٍ واحدة ربما كانت سبباً لفقدان حياتهِ وخراب المنزل . فهرول مسرعاً نحو مخدع مولاتهِ وقرع الباب بالحاح فاستيقظت تلك مذعورةً وقالت من الطارق . فقال خادمكِ بطرس يا سيدتي فعجلي بالنهوض . فقامت وفتحت واذا بالبواب قد ترامى على قدميها هاتفاً بصوتٍ قد ارجفهُ الخوف « لصوص لصوص »

ولم يأتِ على هذه الكلمة حتى انتفضت مولاتهُ كعصفورٍ بللهُ القطر وصاحت به اين اللصوص وكيف عرفت ذلك . فقال الصفح يا مولاتي عن جرأتي فقد نفذ في فؤادي سهم حب تلك الشيطانة التي دخلت المنزل بهيئة راهبة فأتيت لاراها وكان من ذلك اني اطلعت على سرائرها والحمد لله وللحب كم لهُ من حسنات . قالت ويحك لم افهم مغزى كلامك اخبرني حالاً اين اللصوص . فأخذها بيدها واراد المسير فتوقفت جزعاً وصاحت مكررةً اين اللصوص . فقال ياسيدتي لا تضيعي الوقت واعلمي ان التي اضفتها في منزلكِ ليست براهبة كما تدلّ ظواهرها بل هي شريكة لصوص ينتظرونها خارجاً وقد استعانت بذلك الثوب على دخول منزلكِ خدعةً لاختلاس ما فيهِ من المال والمتاع فاقتربي من باب غرفتها يتضح لكِ الامر . فاقتربت

ولما نظرت كاد يغشى عليها من شدة الهلع فبادر الخادم لمساعدتها وارجاعها الى غرفتها وللحال قرعت الجرس فانتبه الخدم واخذوا يفدون الواحد بعد الآخر فتمارضت امامهم وجعلت تصرخ متألمة ثم اشارت اليهم بأن يوقظوا اولادها فلم يكن الا كطرفة عين حتى كان افراد الأسرة كلهم مجتمعين في غرفتها فبلغتهم الامر سرًّا فأخذوا يتشاورون فيما يفعلون

وعند ذلك اقبلت الراهبة لترى ما الخبر لانها سمعت جلبة القوم وكانت مرتدية بثوبها الخارجي وبيدها سبحة فنظرت اليهم ببشاشتها المعهودة وتلطفت بالسؤال عن سبب انزعاجهم فأخبروها ان والدتهم مريضة وقد تنتابها الآلام من حين الى آخر . فأخذت تهون عليهم الامر وتخفف عنهم بعض الارتباك بحديثها العذب ثم جلست ازاء سرير المتمارضة وكانت لا تزال تستغيث متظاهرةً بشدة الألم فركعت بجانبها وجعلت تصلي صلاةً حارّة

وفي تلك الفترة كان بعض الخدم ممن عرفوا سرّ الحادثة قد توجه بأمر مولاهُ لاستدعاء الطبيب والحقيقة انهُ ذهب توًّا الى مركز رئيس الشحنة (البوليس) واطلعهُ على حقيقة الامر فلم تمضِ على ذلك الا دقائق قليلة حتى كان القصر محاطًا بحلقةٍ من الجنود وأُلقي القبض بغتةً على اللصوص الذين في الخارج وكانوا عديدين وأُنزلت الراهبة مكتوفة اليدين لينالوا جميعهم مرّ العقاب